من المنتظم في تواريخ الملوك والأمم لابن الجوزي

ثم دخلت سنة احدى وتسعين واربعمائة

فمن الحوادث فيها :

أنه في شهر ربيع الآخر كثر الاستنفار على الافرنج وتكاثرت الشكايات بكل مكان ، ووردت كتب السلطان بركيارق الى جميع الامراء يأمرهم بالخروج مع الوزير ابن جهير لحربهم ، واجتمعوا في بيت الذوبة وبرز سيف الدولة صدقة فنزل بقرب الأنبار، وضرب سعد الدولة مضاربه بالجانب الغربي ، ثم انفسخت هذه العزيمة ، ووردت الأخبار بأن الافرنج ملكوا انطاكية ، ثم جاءوا الى معرة النعمان فحاصروها ، ودخلوا وقتلوا ونهبوا ، وقيل: إنهم قتلوا ببيت المقدس سبعين ألف نفس ، وكانوا قد خرجوا في ألف ألف .

وفي شعبان : خرج أبو نصر بن الموصلايا الى المعسكر الى نيسابور مستنفرا على الافرنج برسالة من الديوان .

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة .

فمن الحوادث فيها :

أخذ الافرنج بيت المقدس في يوم الجمعة ثالث عشر شعبان ، وقتلوا فيه زائدا على سبعين ألف مسلم ، وأخذوا من عند الصخرة نيفا وأربعين قنديلا فضة ، كل قنديل وزنه ثلاثة آلاف وستمائة درهم ، وأخذوا تنور فضة وزنه أربعون رطلا بالشامي ، وأخذوا نيفا وعشرين قنديلا من ذهب ، ومن الثياب وغيره مالايحصى ، وورد المستنفرون من بلاد الشام ، وأخبروا بما جرى على المسلمين ، وقام القاضي أبو سعد الهروي قاضي دمشق في الديوان ، وأورد كلاما ابكى الحاضرين ، وندب من الديوان من

يمضي الى العسكر ويعرفهم حال هـــذه المصـــيبة ، ثـــم وقـــع التقاعد ، فقال أبو المظفر الابيوردي قصيدة في هذه الحالة فيها :

وكيف تنام العين ملء جفونها
على هنوات ايقظت كل نائم

واخواتكم بالشام يضحي مقيلهم
ظهور المذاكي او بطون القشاعم

تسومهم الروم الهوان وأنتم
تجرون نيل الخفض فعل المسالم

الى أن قال :

وتلك حروب من يغب عن غمارها
ليسلم يقرع بعدها سن نادم

يكاد لهن المستجن بطيبة
ينادي بأعلى الصوت يا آل هاشم

أرى أمتي لايشرعون الى العدى
رماحهم والدين واهي الدعائم

ويجتنبون الثأر خوفا من الردى
ولايحسبون العار ضربة لازم

اترضى صناديد الأعاريب بالأذى
وتغضي على ذل كماة الأعاجم

وليتهم ان لم يذودوا حمية
عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم

وان زهدوا في الأجر إذ حمي الوغى
فهلا أتوه رغبة في المغانم

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة

وفي هذه السنة خرج من الافرنج ثلاثمائة ألف فهزمهم المسلمون وقتلوهم ، فلم يسلم منهم سوى ثلاثة آلاف هربوا ليلا ، وباقي الفل هربوا مجروحين .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وأربعمائة

فمن الحوادث :
أن الأفرنج اجتمعوا فحاربهم المسلمون فقتلوا منهم اثني عشر الف ، ورجعوا غانمين .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسمائة

فمن الحوادث فيها : أخذ الأفرنج طرابلس

ثم دخلت سنة أربع وخمسمائة

فمن الحوادث فيها : أنه وصل الخبر بأن الافرنج ملكوا الشام ، فقام التجار فمنعوا الخطبة في جامع السلطان ، فقال السلطان ، لاتعارضوهم ، وبعث عبيدا ومعهم ولد للسلطان .

وخرج شيخنا أبو الحسن الزاغوني الى الغزاة ، ورافقه جماعة فبلغني انهم ساروا الى بعض الأماكن ورجعوا .

ثم دخلت سنة خمس وخمسمائة

فمن الحوادث فيها :

أنه كان قد بعث السلطان محمد الى الافرنج الأمير مودود في خلق عظيم ، فخرج فوصل الى جامع دمشق ، فجاء باطني في زي المكدين فطلب منه شيئا فضربه في فؤاده فمات .

ثم دخلت سنة سبع وخمسمائة

فمن الحوادث فيها :

الوقعة الكبيرة بين المسلمين والأفرنج ، قتل من الافرنج الف وثلاثمائة ، وغنم المسلمون منهم الغنيمة العظيمة ، واستولوا على جميع سوادهم ،

ثم دخلت سنة اربع وعشرين وخمسمائة

... ووصل الخبر بكسر الافرنج من دمشق ، وأنه قتل في تلك الوقعة عشرة آلاف نفس ولم يفلت منهم سوى اربعين نفرا .

ووصل الخبر بأن خليفة مصر الآمر بأمر الله وثب عليه غلام له ارمني ، فملك القاهرة وفرق على من تبعه من العسكر مالا عظيما ، وأراد ان يتأمر على العسكر فخالفوه ومضوا الى ابن الأفضل الذي كان خليفة قبل المقتول فعاهد فعاهدوه ، وخرج فقصد

القاهرة فقتلوا الغلام الذي في القاهرة ، ونهبت ثلاثة ايام وملك ابن الافضل .

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة

فمن الحوادث فيها :

...وجاء الخبر بفتح الروم بزاعة ، فقتلوا الذكور وسبوا النساء والصبيان ، وجاء الناس يستنفرون ، ومنع الخطبة والخطباء ببغداد وقلعوا طوابيق الجوامع ، وجرت محن .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وخمسمائة

فمن الحوادث فيها :

انه وصل الخبر يوم السبت خامس عشر جمادى الآخرة ان زنكي فتح الرها عنوة وقتل الكفار الذين فيها ، وذلك انه نزل عليها على غفلة ونصب المجانيق ، ونقب سورها ، وطرح فيه الحطب والنار فتهدم ودخلها فحاربهم ، ونصر المسلمون وغنموا الغنيمة العظيمة ، وخلصوا اسارى مسلمين يزيدون على خمسمائة .

ثم دخلت سنة احدى واربعين وخمسمائة

....ووصل الخبر يوم الثلاثاء خامس عشر ربيع الآخر بأن ثلاثة من خدم زنكي الخواص قتلوه وقام بالأمر ابنه غازي في الموصل ، وأكد الولاية ، وكان ابنه محمود في حلب .

ثم دخلت سنة ثلاث واربعين وخمسمائة

فمن الحوادث فيها :

انه وصل الخبر بأن ملوك الافرنج وهم ثلاثة انفس وصلوا الى بيت المقدس وصلوا صلاة الموت ، وانحدروا الى عكة ، وفرقوا الاموال في العساكر فكان تقدير ما فرقوا سبعمائة الف دينار وعزموا على قصد المسلمين ، فلما سمع المسلمون بقصدهم اياهم جمعوا الغلة والتبن ولم يتركوا في الرساتيق شيئا ، ولم يعلم أهل دمشق أن القصد لهم بل ظنوا انهم يقصدون قلعتين كانتا بقرب دمشق ، فلما كان يوم السبت سادس ربيع الاول لم يشعروا بهم الا وهم على باب دمشق ، وكانوا في اربعة الاف لابس وستة الاف فارس وستين الف راجل ، فخرج اليهم المسلمون وقاتلوا ، فكانت الرجالة التي خرجت اليهم سوى الفرسان مائة وثلاثين الفا فقتل من المسلمين نحو مائتين ، فلما كان في اليوم الثاني خرج الناس اليهم وقتل من المسلمين جماعة ، وقتل من الافرنج مالا يحصى ، فلما كان في اليوم الخامس وصل غازي بن زنكي الى حماه في عشرين الف فارس لنصرة صاحب دمشق ووصل اولاد غازي الى بالس في ثلاثين الفا فقتلوا من القوم مالا يحد .

وكان البكاء والعويل في البلد وفرش الرماد أياما . وأخرج مصحف عثمان الى وسط الجامع واجتمع عليه الرجال والنساء والاطفال وكشفوا رؤوسهم ودعوا فاستجاب الله منهم ، فرحل اولئك ، وكان معهم قسيس طويل بلحية بيضاء فركب حمارا أحمر وترك في حلقه صليبا وفي حلق حماره صليبا ، واخذ في يده صليبين ، وقال للافرنج :اني قد وعدني المسيح ان آخذ دمشق ولا يردني احد ، فاجتمعوا حوله واقبل يطلب دمشق ، فلما رآه المسلمون

غاروا للاســـــــلام وحملوا عليه بـــــــأجمعهم فقتلوه وقتلوا الحمار ، وأخذوا الصلبان فاحرقوها.

ثم دخلت سنة اربع واربعين وخمسمائة

....ومن ذلك : أن محمود بن زنكي بن أقسـنقر غزا فقتـل ملك انطاكية ، واستولى على عسكر الافرنج وفتح كثيرا من قلاعهم .

ثم دخلت سنة اثنتان وخمسين وخمسمائة

....وكانت وقعـــة عظيمـــة بين محمـــود بـــن زنكي وبين الافرنج ، وفتح عسكر مصر غزة واستعادوها من الافرنج ، ووصل رسول محمود بتحف وهدايا ورؤوس الافرنج وسلاحهم واترا سهم .

ووصل الخبر في رمضان : بزلازل كانت بالشام عظيمة في رجـب تهدمت منها ثلاثة عشر بلدا ، ثمانية من بلاد الاسلام وخمسـة مـن بلاد الكفر اما بلاد الاسلام ، فحلب وحمـاة وشـيزر وكفـر طـاب وفامية وحمص والمعرة وتل حران ، وامـا بـلاد الافـرنج فحصـن الأكراد وعرقه واللاذقية وطرابلس وانطاكية ، فاما حلب فأهلك منها مائة نفس ، وأما حماة فهلكت جميعها الا اليسير ، وأما شيزر فما سلم منها الا امرأة وخادم لها ، وهلك جميع من فيها ، وأمـا كفـر طاب فما سلم منها أحد ، وأما فامية فهلكت وساخت قلعتها ، وأما حمص فهلك منها عالم عظيم واما المعرة فهلك بعضـها ، وأمـا تـل حران فانه انقسم نصـفين وظهـر مـــن وســـطه ذوا ويس وبيوت كثيرة ، وأما حصن الأكراد وعرقه فهلكتا جميعا ، وهلكت اللاذقية فسلم منها نفر ونبع فيها جوبة فيهـا حمـأة ، وفي وسـطها صـنم واقف ، وأما طرابلس فهلك اكثرها ، وأما انطاكية فسلم بعضها .

ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسمائة

....وتوفي في هذه السنة محمود بن زنكي فتجدد بعد موته اختلاف بحلب بين السنة والشيعة فقتل من الطائفتين خلق ونهب ظاهر البلد فذهب خمسة آلاف خركاه وبيت من التركمان .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

....محمود بن زنكي بن آقسنقر ، الملقب نور الدين

ولي الشام سنين وجاهد الثغور ، وانتزع من ايدي الكفار نيفا وخمسين مدينة وحصن ، منها الرها ، وبنى مارستان في الشام انفق عليه مالا ، وبنى بالموصل جامعا غرم عليه ستين الف دينار ، وكانت سيرته اصلح من كثير من الولاة ، والطرق في ايامه آمنة والمحامد له كثيرة ، وكان يتدين بطاعة الخلافة ، وترك المكوس قبل موته ، وبعث جنودا افتتحوا مصر ، وكان يميل الى التواضع ومحبة العلماء اهل الدين ، وكاتبني مرارا ، واحلف الأمراء على طاعة ولده بعده ، وعاهد ملك الافرنج صاحب طرابلس وقد كان في قبضته اسيرا على ان يطلقه بثلاثمائة الف دينار وخمسين ومائة حصان ، وخمسمائة زردية ومثلها تراس افرنجية ، ومثلها قنطوريات ، وخمسمائة اسير من المسلمين ، وأنه لا يعبر على بلاد الاسلام سبع سنين وسبعة اشهر وسبعة ايام ، وأخذ منه في قبضته على الوفاء بذلك مائة من أولاد كبراء الافرنج وبطارقتهم ، فان نكث اراق دماءهم ، وعزم على فتح بيت المقدس فوافته المنية في شوال هذه السنة ، كانت ولايته ثمانية وعشرين سنة واشهرا .

ثم دخلت سنة اثنتان وسبعين وخمسمائة .

.... وجاء الخبر بنصر المسلمين على الافرنج في غرة جمادى الآخرة .